حقيقة النظام العربي الجديد

العلامة الشيخ/ محمد سعيد رسلان

الجمعة ٢٤ من ربيع الثاني ١٤٣٦هـ الموافق ١٣-٢-٢٠١٥م



الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّـهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّـهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَمِنْ قديمٍ والناسُ يَعيِّبون العَاجِزَ وَيُذمّون العَجْز، ويلومون مَن آتاهُ اللهُ الأسبابَ وَهَيَّأَ له مباديَ الأمور وملَّكه أَزِمَّتها ثم هو في ضياعٍ وحَيرة، وتخبطٍ وضلالة، يموت ظامِئًا والنبعُ منه علي ضربة مِعول، ويقضي يأسًا والفرجُ منه دَانٍ قريب.

قَالَ الشَّاعِرُ:

عَجِبْــــتُ لمَـــــنْ لَــــهُ قَـــدٌّ وَحَـــدٌّ   وَيَنْبُـــــو نَبْــــوَةَ القَضِـــمِ الكَهَـــامِ

والقضمُ من السيوفِ الذي طال عليه الزمن فكسر حده؛ والكهامُ الذي ينبو عند القطع.

عَجِبْــــتُ لمَـــــنْ لَــــهُ قَـــدٌّ وَحَـــدٌّ   وَيَنْبُـــــو نَبْــــوَةَ القَضِـــمِ الكَهَـــامِ

وَمَـــنْ يَجِـــدُ الطّرِيـــقَ إلـــى المَعَـــالي   فَـــلا يَـــذَرُ المَطـــيَّ بِـــلا سَـــنَامِ

وَلـــم أرَ فـــي عُيُـــوبِ النّـــاسِ عيبـــاً   كَـــنَقصِ القَـــادِرينَ علـــى التّمَـــامِ

يقول: عجبت لمن يُؤتى بسطةً في جسمِه، وجُرأةً في نفسِه، ويعجز عن النفاذ في مطالبه، ويُقصِّر عن التقدمِ في مذاهبه، فيكون ظاهرهُ ظاهرَ السيفُ الكَهام، وحقيقته حقيقة الصارم الحسام.

ثم قال على نحو ما تقدم: وعجبت ممن يجد السبيل إلى معالي الأمور فلا يُعمِل في ذلك نفسه، ويستنفد فيه جهده، وجعل المطِّي الذي ذكرها إشارة إلى المعنى الذي قصده.

ثم قالَ مؤكدا لما ذكره: ولم أر في عيوب الناس عيبًا أظهر وأبين، وعجزًا أبلغ وأمكن، من نقص من به على التمام أعظمُ قدرة، وخمولِ من له على الظهورِ أوفرُ قوة.

هذا وقد قال الشاعرُ قبل ذلك:

وَآنَـــفُ مِـــنْ أخـــي لأبـــي وَأُمّـــي ... إذا مَـــا لـــم أجِـــدْهُ مِـــنَ الكِـــرامِ

أرَى الأجْـــدادَ يَغْلِبُهَـــا كَثيـــراً ... علـــى الأوْلادِ أخْـــلاقُ اللّئَـــامِ

وَلَسْـــتُ بقـــانِعٍ مِـــن كـــلّ فَضْـــلٍ ... بـــأنْ أُعْـــزَى إلـــى جَـــدٍّ هُمَـــامِ

وأبلغُ من هذا وأسمي وأعلي منه وأشرف أنَّ النبيّ ﷺ كان يَستعيذ بالله من الْعَجْزِ والكسل، و بَيَّنَ أنَّ الْعَجْز أصلُ المعاصي، وَأنَّ الله تعالي يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَيُحِبُّ الْكَيْسَ، وأن يباشرَ العبدُ الأسبابَ متوكلًا علي الله ربِّه.

قالَ الإمامُ العَلاَّمة ابن القيم رحمه الله تعالي: اللّهُ سُبْحَانَه يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَيُحِبّ الْكَيْسَ وَيَأْمُرُ بِهِ وَالْكَيْسُ هُوَ مُبَاشَرَةُ الْأَسْبَابِ الّتِي رَبَطَ اللّهُ بِهَا مُسَبّبَاتِهَا النّافِعَةَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، فَهَذِهِ تَفْتَحُ عَمَلَ الْخَيْرِ، وَأَمّا الْعَجْزُ فَإِنّهُ يَفْتَحُ عَمَلَ الشّيْطَانِ، فَإِنّهُ إذَا عَجَزَ عَمّا يَنْفَعُهُ، وَصَارَ إلَى الْأَمَانِيّ الْبَاطِلَةِ بِقَوْلِهِ لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْ فَعَلْتُ كَذَا، يُفْتَحُ عَلَيْهِ عَمَلَ الشّيْطَانِ فَإِنّ بَابَهُ الْعَجْزُ وَالْكَسَلُ؛ وَلِهَذَا اسْتَعَاذَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْهُمَا، وَهُمَا مِفْتَاحُ كُلّ شَرّ وَيَصْدُرُ عَنْهُمَا الْهَمّ وَالْحَزَنُ وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ وَضَلَعُ الدّيْنِ وَغَلَبَةُ الرّجَالِ فَمَصْدَرُهَا كُلّهَا مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَعُنْوَانُهَا لَوْ؛ فَلِذَلِكَ قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلّمَ (فَإِنّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشّيْطَانِ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ، فَالْمُتَمَنّي مِنْ أَعْجَزِ النّاسِ وَأَفْلَسِهِمْ فَإِنّ التّمَنّيَ رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ وَالْعَجْزَ مِفْتَاحُ كُلّ شَرّ؛ وَأَصْلُ الْمَعَاصِي كُلّهَا الْعَجْزُ فَإِنّ الْعَبْدَ يَعْجِزُ عَنْ أَسْبَابِ أَعْمَالِ الطّاعَاتِ وَعَنْ الْأَسْبَابِ الّتِي تُبْعِدُهُ عَنْ الْمَعَاصِي، وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، فَيَقَعُ فِي الْمَعَاصِي، فَجَمَعَ النبيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثُ الشّرِيفُ فِي اسْتِعَاذَتِهِ ﷺ أُصُولَ الشّرّ وَفُرُوعَهُ وَمَبَادِيَهُ وَغَايَاتِهِ وَمَوَارِدَهُ وَمَصَادِرَهُ، قال ﷺ (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ) أخْرَجَه الْبُخَارِيُّ فِي مواضعِ، وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى ثَمَانِي خِصَالٍ كُلّ خَصْلَتَيْنِ مِنْهَا قَرِينَتَانِ فَقَالَ (اللَّهُمّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمّ وَالْحَزَنِ) وَهُمَا قَرِينَانِ، فَإِنّ الْمَكْرُوهَ الْوَارِدَ على القلبِ ينقسِمُ باعتبارِ سببِهِ إلى قسمين، فإنه إما أن يَكُونَ سَبَبُهُ أَمْرًا مَاضِيًا، فَهُوَ يُحْدِثُ الْحُزْنَ، وَإِمّا أَنْ يَكُونَ تَوَقّعَ أَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ فَهُوَ يُحْدِثُ الْهَمّ وَكِلَاهُمَا مِنْ الْعَجْزِ، فَإِنّ مَا مَضَى لَا يُدْفَعُ بِالْحُزْنِ بَلْ بِالرّضَى وَالْحَمْدِ وَالصّبْرِ وَالْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ وَقَوْلِ الْعَبْدِ قَدّرَ اللّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ. وَمَا يُسْتَقْبَلُ لَا يُدْفَعُ أَيْضًا بِالْهَمّ بَلْ إمّا أَنْ يَكُونَ لَهُ حِيلَةٌ فِي دَفْعِهِ فَلَا يَعْجِزُ عَنْهُ، وَإِمّا أَنْ لَا تَكُونَ لَهُ حِيلَةٌ فِي دَفْعِهِ فَلَا يَعْجِز مِنْهُ، وَيَلْبَسُ لَهُ لِبَاسَهُ وَيَأْخُذُ لَهُ عُدّتَهُ وَيَتَأَهّبُ لَهُ أُهْبَتَهُ اللّائِقَةَ بِهِ، وَيَسْتَجِنّ بِجُنّةٍ حَصِينَةٍ مِنْ التّوْحِيدِ وَالتّوَكّلِ وَالِانْطِرَاحِ بَيْنَ يَدَيْ الرّبّ تَعَالَى، وَالِاسْتِسْلَامِ لَهُ وَالرّضَى بِهِ رَبّا فِي كُلّ شَيْءٍ وَلَا يَرْضَى بِهِ رَبّا فِيمَا يُحِبّ دُونَ مَا يَكْرَهُ فَإِذَا كَانَ هَكَذَا، لَمْ يَرْضَ بِهِ رَبّا عَلَى الْإِطْلَاقِ فَلَا يَرْضَاهُ الرّبُّ لَهُ عَبْدًا عَلَى الْإِطْلَاقِ فَالْهَمّ وَالْحَزَنُ لَا يَنْفَعَانِ الْعَبْدَ الْبَتّةَ بَلْ مَضَرّتُهُمَا أَكْثَرُ مِنْ مَنْفَعَتِهِمَا، فَإِنّهُمَا يُضْعِفَانِ الْعَزْمَ وَيُوهِنَانِ الْقَلْبَ وَيَحُولَانِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الِاجْتِهَادِ فِيمَا يَنْفَعُهُ، وَيَقْطَعَانِ عَلَيْهِ طَرِيقَ السّيْرِ أَوْ يُنَكّسَانِهِ إلَى وَرَاءٍ أَوْ يَعُوقَانِهِ وَيَقِفَانِهِ أَوْ يَحْجُبَانِهِ

عَنْ العَلَمِ الّذِي كُلّمَا رَآهُ شَمّرَ إِلَيْهِ وَجَدّ فِي سَيْرِهِ، فَهُمَا حِمْلٌ ثَقِيلٌ عَلَى ظَهْرِ السّائِرِ، بَلْ إِنْ عَاقَهُ الْهَمّ وَالْحُزْنُ عَنْ شَهَوَاتِهِ وَإِرَادَاتِهِ الّتِي تَضُرّهُ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ انْتَفَعَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، أَنْ سَلَّطَ هَذَيْنِ الْجُنْدَيْنِ عَلَى الْقُلُوبِ الْمُعْرِضَةِ عَنْهُ، الْفَارِغَةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَالْفِرَارِ إِلَيْهِ، وَالِانْقِطَاعِ إِلَيْهِ؛ لِيَرُدَّهَا بِمَا يَبْتَلِيهَا بِهِ مِنَ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ، وَالْأَحْزَانِ وَالْآلَامِ الْقَلْبِيَّةِ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ مَعَاصِيهَا وَشَهَوَاتِهَا الْمُرْدِيَةِ، وَهَذِهِ الْقُلُوبُ فِي سِجْنٍ مِنَ الْجَحِيمِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَإِنْ أُرِيدَ بِهَا الْخَيْرُ، كَانَ حَظُّهَا مِنْ سِجْنِ الْجَحِيمِ فِي مَعَادِهَا، وَلَا تَزَالُ فِي هَذَا السِّجْنِ حَتَّى تَتَخَلَّصَ إِلَى فَضَاءِ التَّوْحِيدِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ وَالْأُنْسِ بِهِ، وَجَعْلِ مَحَبَّتِهِ فِي مَحِلِّ دَبِيبِ خَوَاطِرِ الْقَلْبِ وَوَسَاوِسِهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ ذِكْرُهُ تَعَالَى وَحُبُّهُ وَخَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ وَالْفَرَحُ بِهِ وَالِابْتِهَاجُ بِذِكْرِهِ، هُوَ الْمُسْتَوْلِي عَلَى الْقَلْبِ، الْغَالِبُ عَلَيْهِ الَّذِي مَتَى فَقَدَهُ فَقَدَ قُوتَهُ، الَّذِي لَا قِوَامَ لَهُ إِلَّا بِهِ، وَلَا بَقَاءَ لَهُ بِدُونِهِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى خَلَاصِ الْقَلْبِ مِنْ هَذِهِ الْآلَامِ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ أَمْرَاضِهِ، وَأَفْسَدُهَا لَهُ، إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَا بَلَاغَ إِلَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُوصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَصْرِفُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِلَّا هُوَ، وَإِذَا أَرَادَ عَبْدَهُ لِأَمْرٍ هَيَّأَهُ لَهُ، فَمِنْهُ الْإِيجَادُ، وَمِنْهُ الْإِعْدَادُ، وَمِنْهُ الْإِمْدَادُ، وَإِذَا أَقَامَهُ فِي مَقَامٍ أَيِّ مَقَامٍ كَانَ، فَبِحَمْدِهِ أَقَامَهُ فِيهِ، وَبِحِكْمَتِهِ أَقَامَهُ فِيهِ، وَلَا يَلِيقُ بِهِ غَيْرُهُ، وَلَا يَصْلُحُ لَهُ سِوَاهُ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، وَلَا يَمْنَعُ عَبْدَهُ حَقًّا هُوَ لِلْعَبْدِ، فَيَكُونُ بِمَنْعِهِ ظَالِمًا لَهُ؛ بَلْ إِنَّمَا مَنَعَهُ لِيَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِمَحَابِّهِ لِيَعْبُدَهُ، وَلِيَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ، وَيَتَذَلَّلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَتَمَلَّقَهُ، وَلِيُعْطِي فَقْرُهُ إِلَيْهِ حَقَّهُ، بِحَيْثُ يَشْهَدُ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، فَاقَةً تَامَّةً إِلَيْهِ، عَلَى تَعَاقُبِ الْأَنْفَاسِ، وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْهُ الْعَبْدُ، فَلَمْ يَمْنَعِ الرَّبُّ عَبْدَهُ مَا الْعَبْدُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، بُخْلًا مِنْهُ، وَلَا نَقْصًا مِنْ خَزَائِنِهِ، وَلَا اسْتِئْثَارًا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ حَقٌّ لِلْعَبْدِ؛ بَلْ مَنَعَهُ لِيَرُدَّهُ إِلَيْهِ، وَلِيُعِزَّهُ بِالتَّذَلُّلِ لَهُ، وَلِيُغْنِيَهُ بِالِافْتِقَارِ إِلَيْهِ، وَلِيَجْبُرَهُ بِالِانْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلِيُذِيقَهُ بِمَرَارَةِ الْمَنْعِ حَلَاوَةَ الْخُضُوعِ لَهُ، وَلَذَّةَ الْفَقْرِ إِلَيْهِ، وَلِيُلْبِسَهُ خِلْعَةَ الْعُبُودِيَّةِ، وَلِيُوَلِّيَهِ بِعَزْلِهِ أَشْرَفَ الْوِلَايَاتِ، وَلِيُشْهِدَهُ حِكْمَتَهُ فِي قُدْرَتِهِ وَرَحْمَتَهُ فِي عِزَّتِهِ، وَبِرَّهُ وَلُطْفَهُ فِي قَهْرِهِ؛ وَأَنَّ مَنْعَهُ عَطَاءٌ، وَعَزْلَهُ تَوْلِيَةٌ، وَعُقُوبَتَهُ تَأْدِيبٌ، وَامْتِحَانَهُ مَحَبَّةٌ وَعَطِيَّةٌ، وَتَسْلِيطَ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ سَوْقٌ يَسُوقُهُ بِهِ إِلَيْهِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا يَلِيقُ بِالْعَبْدِ غَيْرُ مَا أُقِيمَ فِيهِ، وَحِكْمَتُهُ وَحَمْدُهُ أَقَامَاهُ فِي مَقَامِهِ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِهِ سِوَاهُ، وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يَتَخَطَّاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ مَوَاقِعَ عَطَائِهِ وَفَضْلِهِ، وَ (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) [الْأَنْعَام : ٥٣] فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَوَاقِعِ الْفَضْلِ، وَمَحَالِّ التَّخْصِيصِ، وَمَحَالِّ الْحِرْمَانِ، فَبِحَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ أَعْطَى، وَبِحَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ حَرَمَ، فَمَنْ رَدَّهُ الْمَنْعُ إِلَى الِافْتِقَارِ إِلَيْهِ، وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، وَتَمَلُّقِهِ، انْقَلَبَ الْمَنْعُ فِي حَقِّهِ عَطَاءً، وَمَنْ شَغَلَهُ عَطَاؤُهُ، وَقَطَعَهُ عَنْهُ انْقَلَبَ الْعَطَاءُ فِي حَقِّهِ مَنْعًا، فَكُلُّ مَا شَغَلَ الْعَبْدَ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ مَشْئُومٌ عَلَيْهِ، وَكُلُّ مَا رَدَّهُ إِلَيْهِ فَهُوَ رَحْمَةٌ بِهِ، وَالرَّبُّ تَعَالَى يُرِيدُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَفْعَلَ، وَلَا يَقَعُ الْفِعْلُ حَتَّى يُرِيدَ سُبْحَانَهُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُعِينَهُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ مِنَّا الِاسْتِقَامَةَ دَائِمًا، وَاتِّخَاذَ السَّبِيلِ إِلَيْهِ، وَأَخْبَرَنَا أَنَّ هَذَا الْمُرَادَ لَا يَقَعُ حَتَّى يُرِيدَ مِنْ نَفْسِهِ إِعَانَتَنَا عَلَيْهَا، وَمُشِيئَتَهُ لَنَا، فَهُمَا إِرَادَتَانِ: إِرَادَةٌ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَفْعَلَ وَإِرَادَةٌ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُعِينَهُ، وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْفِعْلِ إِلَّا بِهَذِهِ الْإِرَادَةِ، وَلَا يَمْلِكُ مِنْهَا شَيْئًا، كَمَا قَالَ جل

وعلا (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [التَّكْوِير : ٢٩] فَإِنْ كَانَ مَعَ الْعَبْدِ رُوحٌ أُخْرَى نِسْبَتُهَا إِلَى رُوحِهِ كَنِسْبَةِ رُوحِهِ إِلَى بَدَنِهِ، يَسْتَدْعِي بِهَا إِرَادَةَ اللَّهِ مِنْ نَفْسِهِ، أَنْ يَفْعَلَ بِهِ مَا يَكُونُ بِهِ الْعَبْدُ فَاعِلًا، وَإِلَّا فَمَحَلُّهُ غَيْرُ قَابِلٍ لِلْعَطَاءِ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِنَاءٌ يُوضَعُ فِيهِ الْعَطَاءُ، فَمَنْ جَاءَ بِغَيْرِ إِنَاءٍ رَجَعَ بِالْحِرْمَانِ، وَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعَاذَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَهُمَا قَرِينَانِ، وَمِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَهُمَا قَرِينَانِ، فَإِنْ تَخَلَّفَ كَمَالُ الْعَبْدِ وَصَلَاحُهُ عَنْهُ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ، فَهُوَ عَجْزٌ، أَوْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَيْهِ، لَكِنْ لَا يُرِيدُ، فَهُوَ كَسَلٌ، وَيَنْشَأُ عَنْ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ فَوَاتُ كُلِّ خَيْرٍ، وَحُصُولُ كُلِّ شَرٍّ، وَمِنْ ذَلِكَ الشَّرِّ تَعْطِيلُهُ عَنِ النَّفْعِ بِبَدَنِهِ، وَهُوَ الْجُبْنُ، وَعَنِ النَّفْعِ بِمَالِهِ وَهُوَ الْبُخْلُ، ثُمَّ يَنْشَأُ لَهُ بِذَلِكَ غَلَبَتَانِ. غَلَبَةٌ بِحَقٍّ، وَهِيَ غَلَبَةُ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةٌ بِبَاطِلٍ، وَهِيَ غَلَبَةُ الرِّجَالِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمَفَاسِدِ ثَمَرَةُ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ ﷺ قالَ الإمامُ رحمه الله تعالي فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ لِلرَّجُلِ الَّذِي قَضَى عَلَيْهِ، فَقَالَ (حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) فَقَالَ ﷺ (إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) صححه الإمامُ رحمه الله وضعَّفه الألبانيُ وغيره وأخرجه أحمد وأبو داود وغيرُهما فَهَذَا قَالَ (حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) بَعْدَ عَجْزِهِ عَنِ الْكَيْسِ، الَّذِي لَوْ قَامَ بِهِ، لَقُضِيَ لَهُ عَلَى خَصْمِهِ، فَلَوْ فَعَلَ الْأَسْبَابَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا كَيِّسًا، ثُمَّ غُلِبَ فَقَالَ (حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) لَكَانَتِ الْكَلِمَةُ قَدْ وَقَعَتْ مَوْقِعَهَا، كَمَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ لَمَّا فَعَلَ الْأَسْبَابَ الْمَأْمُورَ بِهَا، وَلَمْ يَعْجِزْ بِتَرْكِهَا، وَلَا بِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْهَا، ثُمَّ غَلَبَهُ عَدُوُّهُ، وَأَلْقَوْهُ فِي النَّارِ، قَالَ فِي تِلْكَ الْحَالِ (حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) فَوَقَعَتِ الْكَلِمَةُ مَوْقِعَهَا، وَاسْتَقَرَّتْ فِي مَظَانِّهَا، فَأَثَّرَتْ أَثَرَهَا، وَتَرَتَّبَ عَلَيْهَا مُقْتَضَاهَا.

العجز يعاني منه كثيرٌ من جماهيرِ المسلمين وبالتالي تعاني منه المجتمعات المسلمة، وهذا عيبٌ كبير

وَلَــم أرَ فــي عُيُــوبِ النّــاسِ عيبًــا   كَـــنَقصِ القــادِرينَ علـــى التّمَـــامِ

فإنَّ اللهَ أعطاهم هذا الدين وهو الدين الحق الدين الخاتم الذي لا يعتوره تبديلٌ ولا يلحقه نقصٌ ولا زيادة ولا تصحيف ولا تحريف وإنما هو محفوظ، ونبيُّهم سيد المرسلين ﷺ وكتابُهم هو خاتمُ كُتب الله رب العالمين لهداية الخلقِ في الأرض، وأوطانُهم تتوسط البسيطة، ثرواتهم لا حد لها ولا حصر؛ ماذا ينتظرون؟!! ، ولماذا يتقاعسون؟!! ، ولماذا يتخلفون؟!!.هو العجز...

لا نعرف إنْ كنا علي وعيٍ وإدراكٍ بما يفعله بنا أعدائنا أو لا، فلا شك أنهم يؤسسون لعصر جديد وليمته الذبائح البشرية، ووقوده النِفط العربي، وحطبُه أجسادُ خِيرة شبابنا، يُعلِّمون الصغير كيف يقتل، وننتشي بصورِ الأشلاء التي تُبث علي الشاشاتِ تحت صيحات التكبير، فيُمارس القتل باسمِ الله العلي الرحمن الرحيم، أهذا هو الدين الإسلامي في نسخته الجديدة التي يُبشر به عصر الجماهير الجديد، عندما يغيب صوت العقل، ويظهر صوت الجهل، ويعُم الغباء والعجز أرجاء الوطن العربي، فإنه علينا أن نجزم بأن حضارتنا العربية عجزت عجزًا تامًا عن الولادة من جديد علي أيدي هذا الجيل، لقد أُصيبت بعقمٍ شديد، نلاحظه في كل الميادين، الاقتصادية، والسياسية، والمجتمعية، والعسكرية، فضلًا عن الأخلاقية، والقيمية، والدينية الشرعية.

مجتمعنا مُشوه، وسنزيد من تكوين أجيال مشوهة مؤزمةٍ مهزومة لا تعرف إلا القتل والذبح، والحرق بالنار تحت أعينِ المسلمين والكفار، والأبرارِ والفجار.

إن العدوان والتحرش السياسي والعسكري والمباشرة في العدوان وانتهاك جميع المواثيقِ الشرعية، والدولية، والأخلاقية، والقيمية، أخرج الإنسان من مفهوم الإنسانية إلي مفهومِ الحيوانية، أصبح الجيل المُشوه يُهلِّل لأول طلقة رصاص، لا يهُم أعداد الموتى، طالما أنهم قد عشقوا رائحة الدم، ماتت الحكمة مع الحكماء.

الدور الذي تقوم به الأنظمة العميلة بالتواطئي مع بعض النافذين وأصحاب القرار السياسي والمالي خطيرٌ جدًا، لقد رأينا كيف أنه في ظرف سنة واحدة سقطت أنظمة، وشُردت عائلات، وسقط الآلاَف من الضحايا، والهدف من كل ذلك المُعلن تحقيقُ الديمقراطية ونشرُها في الوطن العربي، هذا هو المعلن، وأما الحقيقة فهي إحداث الفوضى في البلاد، الحقيقة هي سفكُ الدماءِ دماءِ العباد، هم يخدعون الناس بالشعارات التي لا مضمون لها، وبالأسماء التي لا تنطبق إلا علي ضد مسمياتها، فهذا بيتُ الحرية الأمريكيّ، وهو لمن يجهل قد قام بالدورِ الأكبر في إسقاط الأنظمة وإحداث الفوضى الخلاَّقة، وإراقةِ الدماء، وبعثرةِ الأشلاء، وهتكِ الأعراض، وهدم الديار، ونهبِ الثروات؛ لمن يجهل الدور التي تلعبه هذه المنظمة فريدم هاوس (Freedom House) بيت الحرية عليه فقط أن يعرف أنَّ هذه المؤسسة كانت مسئولةً عن تحريك العديد من الثورات في العالم كالثورة الوردية الجورجية، حيث اعتمدت المنظمة على شباب حركة "كمارا" الذين تلقوا تدريبات على "الحشد" ولعِبوا بنفس لعبة بيتر آكرمان، كما ساهمت في إسقاط النظام في صِربيا عن طريق الاعتماد على حركة "اتبور" ....، التي استُنسخت في مصر في حركة " السادس من إبريل" تزرع الفتنة وتنشر الخراب، تلقى أعضاؤها تدريبات على حشد الجماهير وتعلموا استعمال اللعبةِ التي اخترعها بيتر آكرمان، كما أنها ساهمت في الثورة البرتقالية الأوكرانية، وَالجدير بالذكر أنَّ الثوار في أوكرانيا وقبل الثورة قد تلقوا تدريبات ودورات في الحشد أيضا ممن أُطلق عليهم نشطاءُ في تعليم الديمقراطية والحشد عبر وسائل الإعلام الحديثة، تقوم هذه الخطة علي تدريبِ كل ثوريّ الذي عليه بدوره أن يحاول ضم خمسمائة في شكل خلايا عنقودية عبر المنتديات الاجتماعية، بيتُ الحرية قام بتدريبِ بعض المدوِّنين في تونس ومصر واليمن وغيرها الذين ظهر دورهم بقوةٍ زمن الثورات والاحتجاجات الشعبية، وذلك قبل وقوعِ الأحداث بفترة، حيث كانت تتحمل هذه المنظمة جميع نفقات الرِحلات وجميع نفقات الإقامة والتدريب مع منحِهم اعتمادات مالية هامة، إنها المؤامرة التي أُلقي إلي الجماهير طُعمها فابتلعتها الجماهير، ثم خرجت تُحطِّم نفسها، وتُهلِك ذاتها، وتُبدد ثرواتها، وتستدعي أعدائها، ليضيع الباقي من دينها، علي كل من أتاه الله عقلًا أن يعمله وأن يستعمله وإلا كان عاجزًا.

لماذا لا يتأمل الناسُ دورَ مشايخ الضلالة؟!! ، كالقرضاوي مثلًا ونموذجًا، فلتتأملوا دورهم في بثِّ الفتنةِ واستباحةِ الأعراض والدماء، لقد تحوّل هذا الشيخ الذي كان يمدحُ القذافيّ ويصفُه بالأخ صاحب التحليلات العميقة، تحوَّل إلي النقيض تمامًا، يصفه بالجنون، ويتعدى الأمر الحدود عندما يُهدر دمَه، في زيارته لليبيا سنة ثلاثة وألفين (٢٠٠٣) وصف القذافيّ بقائد الثورة بصاحب التحليلات العميقة والواضحة لمجريات الأحداث، وفي عام عشرةٍ وألفين (٢٠١٠) احتفل في النادي الدبلوماسي بمناسبةِ العيد الواحد والأربعين لثورة الفاتح في قطر، ثم عاد يُفتي

بقتل الرجل قائلًا (من استطاع أن يقتل القذافي فليقتله، ومن يتمكن من ضربه بالنار فليفعل، ليُريح الناس والأمة من شر هذا الرجل المجنون)، هذا كلام دعاة، هذا كلام الشيوخ، هذا كلام العلماء، ما للعلماء وأمثالِ هذه الأمور، والغريب أنه أثناء تحطيمِ طالبان لتماثيل بوذا، طار القرضاويُّ إلي أفغانستان قصدَ التفاوض معهم وإقناعهم بالكفِّ عن هذا الفعل، وأنَّ تلك التماثيل تاريخًا إنسانية مشتركة، وفي أثناء عودته وفي برنامجه الشريعة والحياة اتصل به أحد الشباب فعاب عليه هذا التصرف وكيف أن ما أتاه الطالبان هو ما يجب أن يكون، فكان ردُّ القرضاوي قاسيًا وساخرًا من المتصل (أفتوا بقتل القرضاوي) بمعني أنه منزعجٌ من الفتاوي التي تُحرِّض علي قتل الناس، ما يشدُّ الانتباه في فتاوي هذا الزائغ الضال أنها غير ثابتة، فهي متغيرةٌ من حال إلي حال، فقد تكون اليوم عليك، وقد تكون غدًا لك.

قبل إعدام صدام، كان القرضاويُّ يكيل له السباب وجميع أصنافِ الاتهامات بالعمالة وغيرِها، وبعد ما قُتل صدام راح يرثيه، لأنه ليس أمام القرضاويّ أي مناورة عكسية، فالشعوب العربية جُلُّها بكت المشنوق، ولا يمكن لهذا الرجل المتلاعب بالدين والفتاوي لا يمكنه بأي حالٍ إلا السير في اتجاه الريح لا عكسَها.

لماذا لم يُصدِر هذا الرجل فَتوَي بجواز قتل أمير قطر؟ ، والحال أنه من أول المُطبِّعين مع اليهود، لماذا لم يُصدر مثل هذه الفَتوَي؟!! ، كما حدث عندما أفتي بقتل الرئيس الأسبق حسني مبارك عقب توقيع اتفاقية الغاز مع اليهود، ثم لماذا لم يُصدر فَتوَي تُحرِّم التعامل مع الجيوش الأمريكية التي تقتل العراقيين وتبيدهم؟!! ، ثم لماذا فَتاواه الثورية تعلقت فقط ببعض الأنظمةِ دون سواها؟!!.

إن النظامَ العربي الجديد الذي يُسعي لتأسيسه سيكون خاليًا من كل نظام، مجردَ دويلات مهترئة متصارعةٍ منهوكة القوي، ستُبعثر ما تبقي لها من ثروات ومن مخزون نقدي علي إعادة البناء، فقد لاحظ أهل الدنيا جميعًا كيف أنَّ حلف الناتو كان يُدمر الطرق، والمطارات، والمواقع الاستراتيجية في ليبيا بكل شراسة، لماذا؟!! ، ليُؤمِّن لمقاوليه إبرام العقود والبناء، سيدفع العرب ثلاث فواتير لا تنتظر التأخير، فاتورة الضحايا الذين سقطوا بحيث سيزيد ذلك من إشعال نظرية الانتقام المتبادل، وسيدفعون فاتورةَ الناتو نظير القنابلِ والصواريخ الذكية والغبية التي يُرسلها، وسيدفعون فاتورة السلاح الذي سيشترونه ليتقاتلوا وكلما اشتد القتال تضخمت الفاتورة، أما الفُتات الذي سيتبقى إنْ تبقي فهو لإعادة البناء من جديد، وهكذا فيما تمضي الدول العاقلة بشعوبها متلاحمة مع قادتِها وزعماءِها، تمضي إلي البناء والتشييد، نُمضي نحن العربَ وقتنا في الهدمِ لنبني، ثم لنهدم كالأطفالِ الصغار، فبيوتُنا وأفكارنا ومشاريعنا من الرمل، يجمعُنا الطبل وتُفرِّقنا العصا.

والمرجو من العرب أن تكون بناياتهم الجديدة علي الطريقة اليابانية لكي لا تكلفهم كثيرًا في المستقبل، فزلازلنا كثيرة ورَّجاتها قوية، والنظام العربي الجديد الذي يقع العملُ عليه اليوم سيقيم أنظمةً ظاهرها ديمقراطية، بعض الدول ستبقي واجهة شكلية لعدم الكشف عن المخطط الأصلي، ستُحافِظ تونس علي وهجها ووحدتها بحكم أنها أول دولة صارت فيها تحولات طالما انتظرتها الدول المتورطة وذلك للبدء في تنفيذ برامجها، وفيما يخص الدول الأخرى فجميعها مهدد، بدايةً بمصر التي يعمل العملاء والجبناء والخونةُ المأجورون والمتاجرون بالدين علي تخريبها

وعلي نسفِ ثرواتها وقتلِ أبنائها، بحكم أنَّ مصر تُمثل البلدَ الأكثر سكانًا والذي عُرف تاريخيًا بدفاعه عن الوحدةِ الإسلامية وعن التلاحمِ العربي، فتجزئتها ضربٌ لرمزِ الوحدة الإسلامية والعربية، وهل يكون ذلك بعيد المنال؟ وسياسة الخونة الخونة الجُدد مزيدٌ من الثورات، ومزيدٌ من التقاتل، ومزيدٌ من التفتيتِ والتقسيمِ، هل يكون ذلك مع ذلك بعيد المنال؟! أو مستحيل الوقوع؟! ، نسأل الله السلامة والعافية.

عصرُ اليوم هو عصرُ التقاتل من أجلِ البقاء، فالثروات الطبيعية في سبيلها إلي النفاذ، وأغلبُ الدول العظمي كأمريكا وفرنسا وبريطانيا وكذلك إيطاليا تعاني عجزًا فادحًا في ميزانياتها الاقتصادية، مع ارتفاع البطالة في صفوف المِهنيين الذين يعملون في صناعات حساسة واستراتيجية، ثمة إحساس من طرف هذه البلدان بالغَبْنِ والظلم أمام وفرةِ المخزون النقدي والنفطي الذي تتوفر عليه بعضُ دولٍ بالأساس لا يتوافرُ فيها عنصرُ القوة.

إذا كنت مُستهدفًا ثم تَنْعَمُ بغَمضِ عينٍ، فهل يُقال هذه خيانة؟ ، إذا كانت دارُكَ قد حوصرت بأعدائك الذين يملكون نسفها وإشعالِ الحرائق في جنباتها، وأخذك، وعِرضك، من أجل أن يُدنِّس ذلك كله، إذا كان ذلك كذلك وتنعم بهدْأَةِ في الليل، فهذه خيانة؟ ، أجب بأنصاف والله يرعاك؛ وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فيا أيها المسلمون إنَّ التقوي بمعناها الصحيح يدخل فيها أنْ يتقي المسلمُ ربَّهُ في بلده، لا يخونُه، ولا يُسلِّط عليه عدوه، ولا يُجرُّه إلي الفوضى، ولا يُهيِّج الأحقاد بين أهله، ولا يُثير الفتن بين أبنائها.

قالَ الشيخُ محمد شاكر رحمه الله (إياك أنْ تظن أن تقوى الله هي الصلاةُ والصيامُ ونحوهُما من العبادات فقط؛ إنَّ تقوى الله تَدخل في كل شيء فاتق الله في عبادة مولاك، لا تُفرِّط فيها، واتق الله في إخوانك، لا تؤذِ أحدًا منهم، واتق الله في بلدك، لا تخنه –اتق الله في بلدك لا تخنه– ولا تُسلِّط عليه عدوًا، اتق الله في نفسك، ولا تُهمل في صحتك، ولا تتخلق بسوى الأخلاق الفاضلة) انتهي كلامه رحمه الله، اتق الله في بلدك، لا تخُنه، ولا تسلط عليه عدوًا، لا تدفعه إلي الفوضى والشقاء؛ إني لأعْجَبُ كيفَ يمكنُ أنْ يخونَ الخائنون! أيخونُ إنسانٌ بلاده! إنْ خانَ معنى أنْ يكونَ فكيفَ يمكنُ أنْ يكون!.

قد تضيقُ أخلاقُ الرجل فيظنّ أنَّ بلدَه قد ضاق به، والحقُ كما قَالَ الشاعرُ القديمُ:

وربـــك مـــا ضـــاقت بـــلادٌ بأهلِهـــا ولكـــنَّ أخـــلاقَ الرجـــالِ تضـــيقُ

وأما حال من فارق وطنه فهو:

شـــوق يخـــضّ دمـــي إليـــه، كـــأن كـــل دمـــي اشـــتهاء

جُـــوع إليـــه .. كجـــوع دم الغريـــق إلـــى الهـــواء

شـــوقُ الجنـــين إذا اشـــرأبّ مـــن الظـــلامِ إلـــى الـــولادة

إنـــي لأعجـــبُ كيـــف يمكـــن أن يخـــون الخـــائنون

أيخـــونُ إنســـانٌ بـــلادَه؟ إن خـــان معنـــى أن يكـــون، فكيـــف

يمكـــــــــــــــــن أن يكـــــــــــــــــــــــون؟

الشـــمسُ. الشـــمسُ أجمـــلُ فـــي بـــلادي مـــن ســـواها، و الظـــلام

حتـــى الظـــلام – هنـــاك أجمـــل، فهـــو يحتضـــنُ الكِنانـــة

واحســـرتاه، متـــى أنـــام فـــأُحسّ أنَّ علـــى الوســـادة

مـــن ليلـــك الصـــيفيّ طـــلاّ فيـــه عطـــرُك يـــا كنانـــة؟

حبُّ الوطن غريزةٌ متأصلةٌ في النفوس السوية، وحبُّ الوطن الإسلامي من الإيمان، والدفاعُ عنه دفاعٌ عن الدين والتوحيد، إذا كان الوطنُ إسلاميًا فيه لَا إِلَه إِلَا اللّٰه مُحَمَّد رَسُوْل اللّٰه، يُؤَذِّنُ بها علي المآذِنِ، ويُسمع بها في المَجامِعِ، وتُقام فيه الصلوات، وإن وقعت فيه المنكرات فهو إسلاميّ كما قرر ذلك شيخ الإسلام، والعلامة ابن باز، والعلامةُ ابن عثيمين، والعلامةُ الألباني، وكل من شمَّ رائحة العلم فإنه يُقرره، حبُّ الوطن غريزةٌ متأصلةٌ في النفوس السوية، أخرج الترمذي وابن حبان والحاكم والبيهقي في الشعب والمقدسي في المختارة بسند صحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي حق مَكَّةَ عند هجرتِه منها (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِك أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ)، هل كانت مكةُ حين إذ بلدةٌ إسلاميةٌ؟! ، هل كانت تُقام فيه الصلوات عند الهجرة، وتُقام فيها الحدود؟! ، هل كان يُحكم فيها بالجُملة علي من سكنها بحكم الله من فوق سبعةِ أرقعة؟! ، أم كانت الأصنامُ حول الكعبةِ وفي البيتِ الحرام بعدد أيام السنة؟! تُقدم لها القرابين وتُذبح عند أقدامها إلي غير ذلك مما هو معلومٌ من الكُفر الأقرعِ الأصلعِ البغيض، ومع ذلك يقول رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِك أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ)، ولا يُقارنن أحد بين مكة وغيرها فهي أم القري زادها الله رب العالمين عزةً وشرفا.

دعا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ربه أن يرزقه حبَّ المدينة لما انتقل إليها، أخرج الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ قَالَ (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ)، لما أحس الأصحابُ الحنين إلي مكة إلي الثري الذي دبَّ عليه الصبي أولَّ ما تعلم الخطو والمشي وحبا عليه الوليد لما رُزق بعض قوة، كانت فيه الآمال والأحلام، أكل من ثمراتهِ، شرِب من ماءه، استظل بسمائه، ومع ذلك هل هي القوميةُ البغيضة؟! هل هي الوطنيةُ المريضة؟! حاشا وكلا، إنها الغريزةُ الإنسانية ينبغي أن يعودَ إليها كلُّ من يخون بلده، كل من يُسلِمُه إلي أعداء الإسلام، كل من يُفرِّط في ذرة ترابه وحبة من رماله، فضلًا عن تضييع ثرواته، واستباحة أعراض أهله، أين الغيرة؟!!!.

من لوازم الحب الشرعي للأوطان المسلمة أن يُحافظ علي أمنها واستقرارها، وأن تُجنَّب الأسبابَ المُفْضية إلي الفوضى والاضطراب والفساد، فالأمن في الأوطان منْ أعظم مِنَن الرحيم الرحمن علي الإنسانِ، وقد قرن الله تعالي الأمن بالعبادة وذلك لعظيمِ قيمته فقال جلَّ وعلا (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ) وَالِابْتِدَاءُ بِطَلَبِ نِعْمَةِ الْأَمْنِ فِي هَذَا الدُّعَاءِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَعْظَمُ النِّعَمِ وَالْخَيْرَاتِ، وَأَنَّهُ لَا يَتِمُّ شَيْءٌ مِنْ مَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا إِلَّا بِهِ، سُئِلَ أحدُ الْعُلَمَاءِ: الْأَمْنُ أَفْضَلُ أَمِ الصِّحَّةُ؟ فَقَالَ: الْأَمْنُ أَفْضَلُ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْ ذلك أَنَّ شَاةً لَوِ انْكَسَرَتْ رِجْلُهَا فَإِنَّهَا تَصِحُّ بَعْدَ زَمَانٍ، ثُمَّ إِنَّهَا تُقْبِلُ عَلَى الرَّعْيِ وَالْأَكْلِ، وَأَنَّهَا إذا رُبِطَتْ فِي مَوْضِعٍ وَرُبِطَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا ذِئْبٌ فَإِنَّهَا تُمْسِكُ عَنِ الْعَلَفِ وَلَا تَتَنَاوَلُ شيئًا إِلَى أَنْ تَمُوتَ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الضَّرَرَ الْحَاصِلَ مِنَ الْخَوْفِ أَشَدُّ مِنَ الضَّرَرِ الْحَاصِلِ مِنْ أَلَمِ الْجَسَدِ.

الخوفُ يُقتلُ الملكاتَ يُدمر القدراتَ، الخوفُ يُمسخُ النفوسَ يُشوّه الأرواحَ، الخوفُ لا يعادله شيء إلا ما وقع من عذابٍ ظاهرٍ في إيلام النفسِ وفي وقوعِ الألمُ عليها، وقد أجاب اللهُ دعوةَ إبراهيم عليه الصلاة والسلام فجعل البيت الحرام آمناً، وجعل مكةَ بلدًا آمناً تُجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنه تعالي وتفضُلا وقرن الله الأمن بالرزق فقال جل وعلا (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ)، وامتن الله علي أهل حرمه الأمن بالأمن فقال تعالي (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) فجهل هؤلاء المشركون قيمة النعمة التي هم فهيا، ولم يُدركوا ويشاهدوا أنَّا جعلنا بدلهم مكة حرماً آمناً، يأمنون فيه على أنفسهم وعلى أموالهم وعلي أعراضهم، والحال أنَّ الناس من حولهم يقتل بعضهم بعضاً، ويعتدى بعضُهم على بعض؛ علي المصريين خاصة أنْ يتأملوا في هذه المنَّة، وأنْ يشكروا هذه النعمة، الناسُ من حولهم يُتخطفون لا يأمنون علي أنفسِهم، ولا علي أموالهم، ولا علي أعراضهم، بعدما ذهب عنهم أو كاد أمنُهم علي أوطانهم، أسأل الله أن يُسلِّمها من كل سوء، لقد كان العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضاً، ويتغاورون، ويتناهبون، يُغيروا بعضهم علي بعض، وينهب بعضهم مال غيره، وأهل مكة مستقرون فيها آمنون لا يُعتدي عليهم مع قلتهم وكثرةِ غيرِهم، فذكَّرهم الله تعالي بهذه النعمة الخاصة بهم، الاستفهام في قوله تعالى (أفبالباطل يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ) للتعجيب من حالِهم، وللتوبيخ لهم على هذا الجحود والكفرِ لنعم الله تعالى أي: أفبعد هذه النعمةِ الجليلة يؤمنون بالأصنامِ وبنعمة الله التي تستدعى استجابتهم للحق يكفرون، كان أمن أهل مكة بالبيتِ الحرام، وقد مدحه الله مدحًا عظيمًا فقال جل وعلا (مَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)، وقال جل وعلا (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا) فجعله اللهُ مرجعًا للناس يرجعون إليه من كل جانب وملاذاً وحِصنًا لهم من كل خوف وهو موضع أمنِهم واطمئنانهم قال جل وعلا (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)، وذكر تعالي منَّته علي سَبأ فقال جل وعلا (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) وقال جلَّ وعلا (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ).

أخرج التِّرْمِذِيُّ وابنُ ماجه وصححه الشيخُ الألباني من حديث سلمة بن مِحْصَنٍ الأَنْصَارِيُّ أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا) في بعض الروايات : سَرَبِه وهما بمعنى: نِعْمَةُ الْأَمَانِ مِنْ أَجَلِّ نِعَمِ اللَّـهِ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَهِيَ كَكُلِّ النِّعَمِ تَتَطَلَّبُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا، فَالنِّعْمَةُ صَيْدٌ، والشُّكْرُ قَيْدٌ، وشُكْرُهَا بِالِاعْتِرَافِ بِهَا بَاطِنًا، وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمُنْعِمِ بِهَا بِاللِّسَانِ ظَاهِرًا، وَتَصْرِيفِهَا فِي مَرْضَاةِ الْمُنْعِمِ بِهَا وَالْمُسْدِيهَا.

مِنَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: الْعبثُ باستقرار الوطن وأمْنِه.

مِنَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: الْمُغَامَرَةُ بِمُسْتَقْبَلِه، وَتَضْيِيعُ مَاضِيهِ، كما صنع المغامرون في البلدان المنكوبة بما أطلق عليه زورًا وكذبا: الربيع العربي للثورات، بل هو خريفٌ، بل هو صقيع، بل هو زمهرير، بل هو سعير، ثم هو ماسونيٌّ لُحمةً وسُدى.

قِيدت هذه الجماهير من مقودها، قِيدت فانقادت، قادها من حرَّضها على الخروج بالتدمير والتفجير والتقتيل، مَنْ حرضها على إحداثِ الفوضى الخلاقة لكي يُنفذ مخطط أعداء الإسلام، مخطط أعدائه وأعداء وطنه، الذين لا يريدون إلا الخراب، الذين لا يريدون إلا اليباب، فتقلقلت القواعدُ الشعبية وخرجت مبهورةً بالديموقراطية ممن؟!!

من أولئك الذين لا يعرفون تسويةً بين بني البشر !! ؛ ألا تَذكرون لمَّا وقعت بعض الاضطرابات في الحي الفرنسي بباريس الذي يَقطنه غالبية مسلمة ترجع أصولها إلى المغرب العربي الإسلامي، فقال رئيس فرنسا حينذاك: هذه الحثالة، وكانت فتنة.

حثالةٌ تحملُ الجنسيةَ الشريفةَ؟ جنسية ماذا هذه؟! جنسيةُ المؤمن؟ جنسية المسلم؟ جنسية الإنسان السويّ؟!؛ جنسية العصبية البغيضة.

ألا تَذكرون ما وقع في أمريكا من ذلك الصراع الدمويّ المُلتهب بين السود والبيض قريبًا، فكيف عومل هؤلاء؟ وعلى أكتافهم وبِسواعدهم وسواعدِ أجدادِهم الذين اُختطفوا من الساحل الغربي الأفريقي كالأنعام فمات أكثرُهم في السفن، شُحنوا شحن الشياة، وأما من وصل فسيمَ الخسف عبوديةً وقد خلقهم اللهُ أحرارًا، وإلى يومِ الناسِ هذا أَنزلت بعض المحلاتِ هناك في الدولة التي تُبشِّر بالعهد الجديد، وبالقرن الأمريكي الحادي والعشرين، وبالعولمة، وبالحكومة العالمية، وباليسوعية الجديدةِ المنتظرة، وهي شيءٌ سوى الماسونية، وإن تطابقت معها في بعض صورِها، ماذا صنعوا؟ قتلوهم، بل قتّلوهم وقمعوهم، حتى اضُطرت بعض الدول التي توصم عند هؤلاء بالإرهاب إلى توصية الإدارة هناك بضبط النفس؛ كما يفعلون، ضبطُ النفس مع من؟ ألا تَذْكرون؟!! ؛ مازالت بعض المحلاتِ هناك ترفع لافتةً لكل داخل: ممنوع دخول السُود والكلاب، هكذا ... هكذا؛

عندنا في دينِنا قال رسول الله ﷺ للعربيِ الشريفِ والمسلمِ النظيفِ العفيفِ أَبَي ذَرٍّ رضي الله عنه (إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ)، لأنه قال لبلال رضي الله تعالى عنه وهو مُقدَّم الحبشةِ، صاحبُ رسول الله ومؤذنه رضي الله تعالى عنه عندما قال له: يا ابن السوداء، فقال (أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ)؛ يضع خدَّهُ على الأرض، يقول لا والله لا أرفعه حتى تطأ عليه بنعلِك، خدي مداسٌ لك حتى ترضى.

يالله، يا له من دين لو كان له رجال.

احملوه، طبِّقوه على أنفسِكم، عيشوه، لأنكم لن تعرفوه حتى تعيشوه، قد تتكلمونه، قد تكتبونه، قد تهتفون به، ولكنْ لن تجدوا حلاوته حتى تعيشوه.

فإنَّ الإسلامَ إنما توجد حلاوته عند من عاشه لا عند من قاله، ولا من تكلم به فقط، ولا عند من كتبه، بل عند من عاشه، عِش الإسلام تجد حلاوة الإسلام ولذة الإسلام.

مِنَ الْكُفْرِ بِنِّعْمَةِ الأمن الْعَظِيمَةِ: الْمُغَامَرَةُ بِمُسْتَقْبَلِ الْوَطَنِ، وَتَضْيِيعُ مَاضِيهِ.

ألا تذكر كيف استبيحت بغداد؟!! بغداد الرشيد، بغداد الحضارة، بالثارات القديمة، من أجلِ أنْ تُدمَّر الحضارة الإسلامية العربية، بل من أجل أن تُدمر الحضارة العراقية القديمة على وثنيتها وكفرها، ولكن حتى تصير أمةٌ بلا تاريخ.

ولو أنك نظرت في الدول التي ضُربت بما سُمي بالربيعِ العربيِ، تونس قُرطاج، مِصر التي هزمت الصليبيين والتتارَ وهي تدافع عن الإسلام ما أمكن، صخرة تنحسرُ عند أقدامِها أمواج العتاةِ والعصاة والغزاة.

وقد حاولوا أيضا في المغرب لوأد حضارتها، وكذلك في سورية في دمشق رمز الحضارة حضارة الأمويين، وكانت عربيةً خالصة مع ما شابها، والكمالُ لله وحده.

إنها أمةٌ أعني أمريكا بلا تاريخ أجدادهم من أُخرج من سجونِ إسبانيا والبرتغال، ممن ذُهب بهم إلى هناك ليتخلصوا منهم، أُبيد شعبٌ كامل هم الهنود الحُمر بلا ذنبٍ ولا جريرة، واقتيد من اقتيد من الأحرار الأفريقيين من السواحل الغربية، مات من مات، وقُتل من قُتل، وكان ما كان.

يُدمِّرون التاريخ، ولا تجد أحدًا على ظهر الأرضِ يُدمِّر تاريخه ويساعد في تدميره، لا أقول مثلما يفعل المسلمُ فقط في هذا العصر، بل مثلما يفعل العربيُ أوسع نطاقًا، خرجوا يُدمرون حضارتَهم، يدمرون بلادَهم.

هذه التفجيرات التي تقع هاهنا وهنالك هي عشوائيةٌ ليس لها مقصد، مقصدُها الترويع، مقصدُها استنزاف الثروات، مقصدها إسقاطُ الدولة، وكلُّه مبني على التكفير؛ فالتكفيرُ بابُ التفجيرِ وباب الفوضى.

من الكفر بهذه النعمة العظيمة تأجيجُ نيران الأحقاد بين أبناءه وتقويض دعائم بنائه.

من الكفر بهذه النعمة العظيمة استغلالُ معاناة الجماهير الكادحة المرهقة التي أرهقها الفقر وطحنها الغلاء، استغلال تلك الجماهير الكادحةِ المرهقة لتكونَ وقودًا لمعركةٍ فاشلةٍ ظالمة، الغالب والمغلوب فيها خاسران، والمُضيع فيها الوطن الإسلامي بدينه وتاريخه وماضيه وحاضره ومستقبله.

أعيذك بالله أيتها الجماهير الكادحة أن تكوني تابعة كل ناعق.

أعيذك بالله أيتها الجماهير الكادحة أن تُضيِّعي باقيَ الشراب من أجل موهومِ السراب.

أعيذك بالله أيتها الجماهير الكادحة أن تكوني لصاحبِ غرضٍ وسيلة، وأن يروج لأحد من هؤلاء المجرمين عليك حيلة.

إنَّ هذا الوطن أمانة في أعناقِكم، صونوا الموجود وحصِّلوا المفقود ولا تبخلوا بمجهود ولا تستفزانكم الخطوب وارجعوا إلى علام الغيوب، والله يُسددكم ويرعاكم ويُحسن ختامي وختامكم.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى سيدنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.